عبد المنعم علي عيسى

أزمتنا ما بعد اللهيب الأوكراني

قد لا يكون من المبكر اليوم القول: إن الأزمة السورية قد دخلت بعد ٢٤ شباط الجاري منعرجاً مهماً، وهو يختلف جذرياً عن كل المنعرجات التي اعترضتها على كثرتها، وهو، أي ذلك المنعرج، يمكن اختصاره بالقول: إن سني الأزمة العشر السورية السابقة كانت كلها تمضي في ظلال نظام دولي تهيمن عليه الولايات المتحدة حتى لتكاد تؤثر في كل تفصيل فيه، في حين أن الجنين الذي تأكد دخوله مرحلة «التعشيش» في اليوم الوارد أعلاه، يحمل في تراسيمه ولادة نظام جديد، لا يعني بالضرورة زوال نظام القطب الأوحد، فهذا النظام تهتّك منذ حربي أفغانستان ٢٠٠١ والعراق ٢٠٠٣، ثم بدأت ملامحه بالتلاشي بعدهما، وإنما يعني بداية التهتّك في نظام الهيمنة الغربية الأنغلوساكسونية التي لا تزال قائمة بعيد التهتّك الأول، وقد يكون من المبكر أيضاً وصفه، أي وصف النظام الجديد، بعالم ثنائي القطبية، قبيل الوقوف على النتائج التي ستمضي إليها الحرب في أوكرانيا، ثم التراصفات الإقليمية والدولية التي سترافق تلك الحرب، لكنه، أي ذلك النظام، سيكون مختلفاً تماماً عما سبقه، فالصخور تدحرجت من أعالي الجبل وهي ستختط مسارها وصولاً إلى قاعه، وما بين بدء تلك العملية ونهايتها سترتسم الكثير من المعالم، وستتحدد الكثير من المفاهيم، وفي سياقهما ستمتلئ سلة المهملات بتوافقات سابقة لعل الأكثر منها تلك التي تختص بأزمتنا نحن.

في غضون الأيام القليلة التي سبقت الحرب في أوكرانيا، بدأت ترتسم ملامح علاقة جديدة بين موسكو ودمشق، وهي في خطوطها العريضة من النوع الذي ينقلها من حيز التحالف القائم على مبدأ الحفاظ على وحدة وسلامة الأراضي السورية ومحاربة الإرهاب القائم منذ «عاصفة السوخوي» في أيلول ٢٠١٥، إلى حيز جديد يتعدى في مخرجاته حدود الجغرافيا السورية، والأخير يأخذ بتلك العلاقة نحو أن تصبح هذي الأخيرة بين الطرفين في سياق الصراع الدائر بين معسكرين، أو نهجين، دوليين، بكل ما يعنيه ذلك من حمولات على الأزمة والكيان السوري، من دون أن يعني ذلك أن تلك الحمولات، كلها، هي من النوع السلبي على الآخرين، فالمؤكد هو أن جلها، أي جل تلك الحمولات، ستتندرج في خانة الإيجاب قياساً للعديد من المعطيات والمؤشرات على الانتقال إلى هذا الحيز الأخير، فدمشق التي سارعت إلى الاعتراف باستقلال جمهوريتي دونيتسك ولوغانسك في أعقاب خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في ٢١ شباط الذي أعقبه توقيع الاعتراف باستقلالهما، كانت تدرك تماماً ماذا يعني ذلك، وأين تضعها خطوتها تلك؟ وقبيل ذلك كانت زيارة وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو إلى دمشق التي تزامنت مع بيان لوزارة الدفاع الروسية أعلنت الأخيرة فيه عن نقل عتاد نوعي إلى قاعدة حميميم الروسية، وكلا الحدثين، الزيارة التي كثرت التأويلات حول دوافعها وتوقيتها والبيان، يختط مساراً لا يقل أهمية عن المسار السابق.

في المنعكسات كانت هناك العديد من المؤشرات الدالة على متغيرات كبرى في طريقة التعاطي الروسية مع الملفات السورية التي يصح اعتبارها، كل على حدة، أزمة لها خصوصيتها، فاللكنة الروسية كانت قد شهدت تغيراً ملحوظاً في مقاربة الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على العمق السوري، والتغير الذي لم يبلغ بعد حدوداً يمكن الرهان من خلالها على حدوث تحول رادع باتجاه وقف تلك الاعتداءات، من المرشح له أن يشهد في المرحلة المقبلة تطورات تنسجم مع المواقف التي راحت تل أبيب ترسمها لنفسها في سياق تراصفها الحتمي مع الغرب.

ثاني الملفات السورية المرشحة لحدوث تحولات كبرى فيها هو ملف إدلب الذي تحكمه العلاقة الروسية التركية إلى حد بعيد، حيث من المؤكد أن تشهد هذه الأخيرة تصعيداً يتساوق مع التراصف التركي الذاهب شيئاً فشيئاً نحو إعادة تموضع تركي من النوع الذي قد يصبح لاغياً لكل التفاهمات التي حصلت في أعقاب المصالحة الروسية التركية الشهيرة شهر آب ٢٠١٦، وعليه فإن مسار «أستانا» سيصبح على موعد لدخوله «الثلاجة» التي لن يخرج منها إلا بعد انقشاع الضباب الأوكراني، ناهيك عن أن مسار «اللجنة الدستورية» سيكون على موعد هو الآخر للدخول في مرحلة «سبات»، كان هناك الكثير من الأسباب التي تراكمت مؤخراً لمروره فيها، حتى إذا جاءت النار الأوكرانية كان لزاماً الإقرار بأن درجات الحرارة السائدة ليست مثلى لنشاط خلاياه.

كتكثيف أولي يمكن القول: إن التناقض الحاكم لمسار وتطور الأزمة السورية ما بعد ٢٤ شباط فصاعداً، بات محصوراً بشكل أساسي بالصراع الروسي الأميركي الماضي نحو افتراقات كبرى من الصعب التنبؤ الآن بالمآلات التي يمكن أن تصل إليها، بعد أن سادت السنوات العشر الماضية، حالاً من التناوب بين التأثير الإقليمي والدولي في ذلك المسار الذي شهد في مراحل عدة تثقيلاً للأول على الأخير ليعاود هذا، في مراحل أخرى، تصدر المشهد عندما يذهب «اللاعبون» الإقليميون بعيداً عن الهوامش التي تحتملها مصالح نظرائهم الدوليين، ولعل تباشير ذلك الفعل كانت قد بدأت بالظهور عشية السخونة الحاصلة في الملف الأوكراني، عندما أعلن نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف عن ضرورة مشاركة «المكون الكردي» بشتى أطيافه في مسار التسوية السياسية المنحصرة راهناً بمفاوضات جنيف، والمؤكد أن كبرى مرامي الطرح الروسي الذي عبر عنه بوغدانوف، والذي قد يطيح بـ«مسار أستانا» برمته قياساً لحساسية أنقرة تجاه طرح كهذا، تتمثل في محاولة سحب «الورقة الكردية» من بين يدي الأميركيين.
موسكو اليوم، أقرب من أي وقت مضى، لدمشق.

بوتين رفض وساطاتها بشأن أوكرانيا

إسرائيل متخوفة من خلط الأوراق في سورية

فيما رفضت روسيا عرضاً قدمه كيان الاحتلال الإسرائيلي للوساطة في حل الأزمة في أوكرانيا، كشفت وسائل إعلام إسرائيلية عن تخوفات لدى مسؤولي تل أبيب من أن تتسبب العملية بخلط الأوراق في سورية، ونسف كل ما تم بناؤه بين تل أبيب وبين روسيا بشأن المنطقة.

وأعلنت هيئة «البث الإسرائيلية»، أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، رفض وساطة إسرائيل في حل الأزمة الأوكرانية، وفق ما ذكرت وكالة «سبوتنيك» الروسية أمس.

وفي وقت سابق من أمس، بادر رئيس وزراء كيان الاحتلال نفتالي بينيت إلى إجراء محادثة هاتفية مع بوتين، عرض خلالها «وساطة إسرائيلية لتعليق الأعمال العدائية في أوكرانيا»، وذلك وفق بيان أصدره الكرملين ونقله موقع «الميادين نت» الإلكتروني.

ووفقاً للبيان، فإن «بوتين أطلع بينيت على تفاصيل العملية الخاصة لحماية دونباس، وأكد أن روسيا مستعدة لإجراء محادثات في غوميل البيلاروسية».

وعقب رفض بوتين للوساطة الإسرائيلية، كشفت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، أن هناك تخوفاً لدى كيان الاحتلال من أن تنتج العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا وضعاً مقلقاً له في سورية، إذ من المتوقع أن تنسف موسكو تفاهماتها معه بشأن ما سمته «التموضع الإيراني»، وذلك حسبما ذكرت مواقع إلكترونية معارضة.

وأشارت الصحيفة إلى أن كيان الاحتلال يخشى من أن تطلق روسيا العنان لإيران لنقل ما تشاء من أسلحة إلى سورية، وإعطائها الحرية بالتحرك في كل مناطق البلاد.

وأوضحت، أن قيادة الكيان أعطت أوامر لقادة جيش الاحتلال ولسياسييها، بعدم التعليق على أحداث الحرب في أوكرانيا، لمنع تفسيرها بشكل خاطئ، وهو ما قد ينعكس على الأوضاع في سورية.

وأول من أمس، نشرت السفارة الأوكرانية في كيان الاحتلال الإسرائيلي بياناً على صفحتها في «فيسبوك»، قالت فيه «إلى أبناء الوطن الأعزاء، الإخوة وجميع المواطنين الإسرائيليين المهتمين وأبناء الدول الأخرى الموجودين حالياً في إسرائيل، بدأنا في تشكيل قوائم المتطوعين الذين يرغبون في المشاركة في الأعمال القتالية ضد المعتدي الروسي».

ومنذ بدء روسيا لعمليتها العسكرية في أوكرانيا ضد النازيين الجدد، الخميس الماضي، وإعلان أغلبية الدول لمواقفها إزاءها، رأت تحليلات وتقارير أن هذه العملية ستكشف حقيقة مواقف الدول تجاه بعضها البعض وبالتالي ستقلب بعضها رأساً على عقب، علماً أن كيان الاحتلال الإسرائيلي أدان العملية العسكرية الروسية ضد النازيين الجدد في أوكرانيا.

وكالات

تواصل التسويات وسط ارتياح وإقبال متزايد وتكريم ٨٨ أسرة من ذوي الشهداء في السويداء

واصلت مراكز التسوية في دير الزور والرقة وحلب استقبال الراغبين بتسوية أوضاعهم من المطلوبين المدنيين والفارين من الخدمة العسكرية والمتخلفين عنها وذلك في إطار الجهود الحكومية لمساعدتهم بالعودة إلى ممارسة حياتهم الطبيعية في مناطقهم، في وقت تم فيه تكريم ٨٨ أسرة من ذوي شهداء الجيش العربي السوري في محافظة السويداء تقديراً لتضحيات الشهداء ووفاء لدمائهم الطاهرة.

ففي ريف حلب الشرقي، واصلت لجان التسوية أعمالها في مركزي دير حافر ومسكنة حيث سوى عدد من المواطنين أوضاعهم ضمن إجراءات سهلة وبزمن قصير جداً، حسبما ذكرت وكالة «سانا».

وعبر عدد ممن تمت تسوية أوضاعهم عن ارتياحهم ورغبتهم في البدء من جديد لتدارك ما فاتهم خلال السنوات الماضية، منوهين بالأجواء الإيجابية التي تسود بين أهلهم ومناطقهم فرحاً بالتسوية التي طرحتها الدولة.

وفي بلدة السبخة بريف الرقة الشرقي، استقبل مركز التسوية عدداً من المطلوبين الراغبين بتسوية أوضاعهم بينهم عدد من الفارين من الخدمة والمتخلفين عنها والقادمين من مناطق انتشار ميليشيات «قوات سورية الديمقراطية- قسد» الانفصالية على الرغم من المعوقات التي تضعها أمامهم.

وبين عدد من الواصلين إلى المركز أنهم عرفوا بالإجراءات الميسرة من خلال الاتصال بأشخاص سبقوهم إلى التسوية، منوهين بالجهود التي يبذلها الوجهاء والجهات المختصة ولجان التسوية.

وفي صالة العامل بمدينة دير الزور، استمر توافد المطلوبين إليها لتسوية أوضاعهم في إطار التسوية الشاملة الخاصة بأبناء المحافظة التي انطلقت في الرابع عشر من تشرين الثاني الماضي وتشمل المدنيين المطلوبين والعسكريين الفارين والمتخلفين عن الخدمتين الإلزامية والاحتياطية.

ونوه عدد من المواطنين الذين تمت تسوية أوضاعهم بهذه الفرصة التي أتاحت لهم العودة إلى حياتهم الطبيعية وطي صفحة الماضي والعودة إلى منازلهم وأهلهم في ريف دير الزور بعد أن هجروا منها لسنوات، موجهين الدعوة لكل أبناء المحافظة للاستفادة من هذه الفرصة والعودة إلى جادة الصواب.

وأوضح محمود العلو أنه فر من الخدمة الإلزامية منذ ٣ سنوات وقام بتسوية وضعه ليعود إلى صفوف الجيش العربي السوري ويستكمل مدة خدمته.

بدوره، بين باهر الحنان أنه انضم للتسوية للالتحاق بصفوف الجيش العربي السوري بعد تخلفه عن الخدمة الإلزامية، في حين أشار محمد صالح الإبراهيم المتخلف عن الخدمة الاحتياطية إلى أن التسوية التي انضم إليها ستمكنه من أداء الخدمة بمناطق قريبة من أهله وعائلته في دير الزور.

وتزامناً مع تواصل عمليات التسوية، تم أمس تكريم ٨٨ أسرة من ذوي شهداء الجيش العربي السوري في محافظة السويداء، وأشار مدير مديرية شؤون الشهداء والجرحى والمفقودين اللواء بسام كامل بري في كلمة له إلى أن الشهداء الأبرار كتبوا بدمائهم الزكية أنشودة النصر وسطروا ملاحم المجد والصمود والانتصار، لافتاً إلى أن تكريم ذوي الشهداء بشكل مستمر هو تجسيد لقيم ومعاني الشهادة ووفاء لشهداء الوطن الذين يمثلون ينبوع وأسطورة العطاء وأيقونة الانتصار.

وأعرب عدد من ذوي الشهداء عن تقديرهم لهذه المبادرة وفخرهم واعتزازهم بتضحيات أبنائهم وآبائهم الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل عزة الوطن وكرامته وتحقيق النصر على الإرهاب وداعميه، مؤكدين استمرارهم بالسير على درب البطولة والشهادة لتحرير كل شبر من أرض الوطن وعودة الأمن والاستقرار إلى ربوعه.

وتضمن التكريم عدداً من الهدايا العينية والمادية إضافة إلى تقديم أوسمة الإخلاص لذوي الشهداء الذين ضحوا بأغلى ما يملكون دفاعاً عن الوطن.

حضر التكريم محافظ السويداء، نمير مخلوف، وأمين فرع حزب البعث العربي الاشتراكي، فوزات شقير، وعدد من ضباط الجيش العربي السوري.

وكالات

استمرار عملية التسوية بمركز صالة العامل بمدينة ديرالزور (سانا)

الاحتلال الأميركي يدمر ٥٠ منزلاً في حيي غويران والزهور

«الهلال الأحمر» أنهى تجهيز مركز إيواء.. ومرتزقة أردوغان سرقوا الأسلاك الكهربائية في تل أبيض

أكدت مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل في الحسكة، أمس أن عدد المنازل التي طالها قصف الاحتلال الأميركي مؤخراً في حيي غويران والزهور بمدينة الحسكة بلغ ٦٢ منزلاً منها ٥٠ تم تدميرها بشكل كامل، تزامناً مع إنهاء «منظمة الهلال الأحمر العربي السوري» تأهيل مركز إيواء «على البال» لاستقبال العائلات التي هجرت من منازلها من الأحياء الجنوبية في المدينة.

وأجرت المديرية مسحاً على المناطق التي طالها قصف الاحتلال الأميركي وميليشيات «قوات سورية الديمقراطية- قسد» الانفصالية في حيي الزهور وغويران بمدينة الحسكة خلال الفوضى التي حصلت في محيط «سجن الثانوية الصناعية» الشهر الماضي، وذلك حسب ما ذكرت وكالة «سانا» للأنباء أمس.

وبناء على المسح، تم توثيق تدمير العشرات من منازل المواطنين، إضافة إلى تدمير العديد من المرافق العامة وأبنية المنشآت التعليمية.

وأشار مدير الشؤون الاجتماعية والعمل في الحسكة إبراهيم خلف في تصريح له إلى أن عدد المنازل التي طالها قصف الاحتلال الأميركي وتم الكشف عليها من المديرية في حيي غويران والزهور بلغ ٦٢ منزلاً، منها ١٢ مدمرة جزئياً و٥٠ بشكل كامل، إضافة إلى الدمار الذي خلفه قصف طيران الاحتلال الأميركي في أبنية الكليات الجامعية «الهندسة المدنية والاقتصاد ومعهد المراقبين الفنيين ومخبر الباسل».

مصادر محلية من جهتها، ذكرت أن أغلبية الأهالي الذين دمرت منازلهم اضطروا للنزوح إلى مراكز الإيواء وما زالوا مقيمين فيها، لافتة إلى أن تدمير منازلهم جاء في سياق مخطط خبيث لقوات الاحتلال الأميركي تنفذه ميليشيات «قسد» بغية إخلاء المنطقة وتفريغها بشكل كامل من سكانها لكونها تقع على مقربة من مقار وقواعد للاحتلال.

وطالب الأهالي بضرورة تدخل كل الجهات المعنية والمنظمات الدولية لتوثيق انتهاكات ميليشيات «قسد» وممارساتها الإرهابية بحق أهالي حي غويران والعمل على تعويضهم وتوفير البدائل المناسبة لهم.

وأسفر هجوم شنه تنظيم داعش الإرهابي في ٢٠ الشهر الماضي على «سجن الثانوية الصناعية» الذي تحتجز فيه ميليشيات «قسد» المدعومة من الاحتلال الأميركي مسلحين من التنظيم وما تلاه من قصف للاحتلال الأميركي واشتباكات على مدى تسعة أيام داخل السجن وفي محيطه عن مئات القتلى ودمار أبنية ومنشآت ومنازل، وذلك بذريعة ملاحقة فارين منه، إضافة لنزوح أكثر من ٤ آلاف عائلة إلى مناطق سيطرة الدولة.

جاء ذلك، في حين أنهى متطوعو فرع «منظمة الهلال الأحمر العربي السوري» في الحسكة وبدعم من «اللجنة الدولية للصليب الأحمر» أعمال تأهيل وتجهيز مركز إيواء في صالة «على البال» وسط مدينة الحسكة لاستقبال العائلات التي هجرت من منازلها إثر الاشتباكات وعمليات القصف التي قامت بها طائرات الاحتلال الأميركي عقب الأحداث التي شهدها «سجن الثانوية الصناعية»، حسب ما ذكرت «سانا».

وبين رئيس فرع «منظمة الهلال الأحمر العربي السوري» علي منصور، أن أعمال تجهيز وتأهيل مركز الإيواء تضمنت تركيب قواطع للحفاظ على خصوصية العائلات وتركيب أبواب وسخانات مياه وصيانة الحمامات وشبكة الصرف الصحي وتركيب خزانات مياه وتأمين كل احتياجات المطبخ الجماعي، إضافة إلى تجهيز قسم خاص بذوي الاحتياجات الخاصة.

من جانبه، أشار مدير الشؤون الاجتماعية والعمل في الحسكة إلى أهمية تجهيز الصالة لتكون مركز إيواء مؤقتاً ضمن مركز المدينة خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي شهدتها الأحياء الجنوبية وأعمال الفوضى بمحيط «سجن الثانوية الصناعية» ونزوح آلاف العائلات من أحياء غويران والزهور والليلية، لافتاً إلى أن عدد العائلات المتبقية في المركز حتى نهاية الأسبوع الماضي ١٢ أسرة أغلبيتهم من الأسر التي دمرت منازلها بشكل كامل، بينما يستمر فرع «منظمة الهلال الأحمر العربي السوري» بتوزيع المساعدات الغذائية لكل منازل أهالي حي غويران.

من جهة ثانية، أكد مصدر محلي، حسب وكالة «هاوار» الكردية، أن الأهالي القاطنين بين بلدة العلي باجلية ومركز مدينة تل أبيض المحتلة بريف الرقة الشمالي، استيقظوا ليلاً على صوت آلية ثقيلة (باكر) تقوم بالحفر يرافقها مسلحون من ميليشيا «لواء القادسية» الموالية للاحتلال التركي الذي يتخذ من البلدة مركزاً لمقراته.

وأوضح المصدر أن الأهالي لم يستطيعوا الوصول إلى مكان الحفر ليلاً، خشية من بطش مسلحي الميليشيا، ليتبين لاحقاً في الصباح أن هؤلاء المسلحين كانوا يسرقون الأسلاك الكهربائية من الخط الواصل بين البلدة ومركز تل أبيض.

وكالات

الهلال الأحمر ينهي تجهيز مركز إيواء صالة على البال وسط مدينة الحسكة (عن الانترنت)

«السلم العالمي»: الإجراءات القسرية بحق سورية انتهاك للقانون الدولي

أكد السكرتير التنفيذي لمجلس السلم العالمي، إيراكليس تسافداريديس، أن الإجراءات القسرية الغربية الأحادية الجانب المفروضة على سورية تشكل انتهاكاً فاضحاً للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

وجدد تسافداريديس خلال لقائه سفير سورية في العاصمة الكوبية هافانا، إدريس ميا، وقوف مجلس السلم العالمي إلى جانب سورية، مشدداً على أن المجلس لن يدخر جهداً في فضح السياسات الإمبريالية الأميركية والغربية التي تتحمل مسؤولية الأضرار التي أصابت سورية بسبب دعم هذه الدول للتنظيمات الإرهابية وجرائمها بحق السوريين، وذلك حسبما ذكرت وكالة «سانا».

كما أدان السكرتير التنفيذي لمجلس السلم العالمي الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على سورية، مذكراً بسجل الكيان الإسرائيلي الحافل في انتهاك ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي.

من جانبه جدد رئيس المعهد الكوبي للتضامن مع الشعوب (الإيكاب) فرناندو غونزاليس دعم وتضامن المعهد وجميع المنظمات الشبابية الكوبية مع سورية في مواجهة الحرب الإرهابية التي تتعرض لها.

وأشار غونزاليس إلى أن المعهد نظم خلال السنوات الماضية العديد من الفعاليات والنشاطات المؤيدة والداعمة لسورية.

بدوره عرض سفير سورية لدى كوبا دور الاحتلالين الأميركي والتركي في نهب وسرقة موارد وثروات سورية ودعمهما للتنظيمات الإرهابية فيها، مؤكداً تصميم سورية قيادة وجيشاً وشعباً على دحر الإرهاب أينما كان على امتداد الجغرافيا السورية.

وعبر ميا عن شكره لمواقف مجلس السلم العالمي حيال الحرب الإرهابية التي تتعرض لها سورية منذ قرابة ١١ عاماً.

وكالات

لا أحد يمكنه التنبؤ كيف ستنتهي هذه الحقبة والعالم ضاق ذرعاً من الهيمنة الغربية

شعبان: الحاجة ماسة لنظام عالمي جديد يحترم سيادة الدول والقانون الدولي

المستشارة الخاصة في رئاسة الجمهورية بثينة شعبان في مقابلة مع الإعلام الرسمي (عن الانترنت)

الوطن

أكدت المستشارة الخاصة في رئاسة الجمهورية بثينة شعبان، أن الحرب القائمة اليوم في أوكرانيا لها علاقة بتراكمات العلاقات الروسية الغربية وعمرها أكثر من نصف قرن، مبينة أنه نتيجة علاقاتنا التاريخية مع روسيا وتفهمنا لتجارب بعضنا بعضاً، ودون أن ننسى الموقف المشرف لموسكو مع دمشق في حربها على الإرهاب، تقول: إن هناك أكثر من عامل لوقوفنا اليوم مع روسيا.

وفي مقابلة مع الإعلام الرسمي أكدت شعبان، أن ما يجري هو نتيجة طبيعية لتراكم تاريخي بين الغرب وروسيا ولم يكن هناك أي خيار آخر لدى روسيا، لأن كل العهود والمواثيق لم ينفذ الغرب منها شيئاً، ولم يكن هناك أي خيار آخر لها والأمر مرتبط بأمنها القومي ومصالحها وكان لابد من محافظة روسيا على أمنها القومي، معتبرة أن الحرب القائمة اليوم في أوكرانيا لها علاقة بتراكمات بالعلاقات الروسية الغربية عمرها أكثر من نصف قرن، حتى من أيام الاتحاد السوفييتي عندما كان الرئيس الأميركي الأسبق دونالد ريغن يعمل على حرب النجوم، وكشفت الوثائق الروسية أن روسيا كانت قلقة جداً حيث كانت الولايات المتحدة تعمل ضدها والرادارات الروسية كانت تكشف محاولات واشنطن لضربها، وحتى في عامي ١٩٨٩ و١٩٩٠عندما قاد الرئيس الأسبق جورج بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر المفاوضات مع الرئيس السوفييتي الأسبق ميخائيل غورباتشوف حول دخول ألمانيا الموحدة للناتو، كان هذا صعباً على روسيا لأن ألمانيا قادت حروباً ضدها، لكنها وافقت شريطة ألا يتحرك الناتو إنشاً واحداً شرقاً، وألا يزداد أعضاء الناتو، وفي ذلك الوقت كان تعداد أعضاء الناتو ١٢ دولة واليوم باتوا ٣٠ دولة لأنهم لم يلتزموا بما تعهدوا به، ثم أتت حرب الشيشان الأولى والثانية ضد روسيا، حتى إن روسيا طلبت أن تكون عضواً في الناتو ولم يقبلوها.

وتابعت شعبان: في سورية لدينا التجربة نفسها مع الغرب عندما زار وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر سورية عام ١٩٧٤ وتحدث عن ضرورة قيام عملية سلام وسورية وافقت عليها ووافقت على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وخاضت عملية السلام وفي كل مفصل لم يصدق الغرب مع سورية، وبالتالي لسورية التجربة نفسها مع روسيا وهي تتشاطر وتتشارك مع روسيا في تقييمها للغرب.

وشددت شعبان على أنه نتيجة علاقاتنا التاريخية مع روسيا وتفهمنا لتجاربها فنحن نفهم بعضنا بعضاً دون أن ننسى الموقف المشرف لروسيا مع سورية في حربها على الإرهاب وأخذها أكثر من ١٢ فيتو لصالح سورية في مجلس الأمن، كما أنها شاركت مشاركة فعالة في الحرب التي خاضها الجيش العربي السوري في الحرب على الإرهاب، وبالتالي هناك أكثر من عامل لوقوفنا اليوم مع روسيا، فهناك الفهم المشترك والتقييم المشترك والعلاقة المشتركة، وكل هذا أدى إلى ما تفضل به الرئيس بشار الأسد في حديثه مع الرئيس فلاديمير بوتين وفي الموقف الذي اتخذته الدولة السورية في هذه الحرب.

واعتبرت شعبان أن الولايات المتحدة ترغب في جر روسيا إلى مكان تنهي فيه قدرتها على أن تقول لا للغرب، لكن هذه الحرب ليست قراراً غربياً، بل ما أقدمت عليه روسيا هو نتيجة حسابات قامت بها، ووجدت أن الخسارة ستكون أكبر بكثير إذا لم تتخذ موقفاً وفعلاً ما، وأضافت: «نحن في ظل هذا الضخ الإعلامي المضلل، علينا الوقوف على الحقائق وإدراك أن أوكرانيا ملاصقة لروسيا، وشريك تاريخي إستراتيجي وحيوي وتاريخي لروسيا، ولا يمكن لروسيا أن تقبل أن تنضم أوكرانيا للناتو أو أن تكون دولة نووية على حدودها، لأن هذا سيكون دماراً لها وبالتالي قرار روسيا كان لتجنب خسارة أكبر لها».

وأشارت المستشارة الخاصة في رئاسة الجمهورية إلى أن الضخ الإعلامي ضد روسيا لتخويفها يذكرنا بالضخ الإعلامي على سورية منذ عام ٢٠١١، حيث اخترعوا فيديوهات ومواقع، واليوم وفقاً للوثائق التي تفصح عنها هذه الدول، نرى أن بريطانيا دفعت مئات الملايين من الدولارات لتغذي من سمتهم بشهود العيان والإعلام المضلل ضد سورية، فهذا التضليل الإعلامي موجود لكن روسيا كان لابد لها أن تتصرف بهذه الطريقة للحفاظ على استقلالها وأمنها القومي، لافتة إلى أن المشكلة هو أن أميركا والغرب يطبق على نفسه مالا يرضى تطبيقه على الآخرين نتيجة النظرة الاستعلائية لدى الغرب على الشعوب.

ولفتت شعبان إلى أن أحد أهداف الحرب هو أن العلاقة بين روسيا وألمانيا وصلت لمستوى جيد وخصوصاً مع إنجاز خط «السيل الشمالي٢»، والجاهز للإطلاق، ولذلك تخشى أميركا أن تصل هذه العلاقة لتشابك بالمصالح، وهذا يهدد العلاقة بين الولايات المتحدة وألمانيا، مبينة أنه حتى المستشار الألماني قال أمس إن الحديث عن تحقيق أمن أوروبا من دون روسيا هو أمر مستحيل، أي أن هناك تمايزاً بين الموقف الألماني وبين الموقف الأميركي الغربي بالنسبة لروسيا وهذا يشكل أحد الأهداف التي خشيتها أميركا إذا أصبحت روسيا متحالفة مع ألمانيا يمكن أن يؤدي هذا لخطر على القواعد الأميركية في ألمانيا وممكن أن يكون له ارتدادات في المستقبل.

واعتبرت شعبان أنه من السخرية بمكان أن يقوم المستوطنون الإسرائيليون المحتلون، بالاعتراض على عملية عسكرية هدفها واضح ومحدد وله علاقة بالأمن القومي الروسي، مشيرة إلى أنه بالنسبة للموقف التركي فتركيا منذ البداية لم تعترف بانضمام القرم لروسيا كما لم تعترف واستنكرت ضم روسيا لجمهوريتي دونيتسك ولوغانسك، لافتة إلى أن رئيس النظام التركي رجب طيب أردوغان يحاول إرضاء كل الأطراف لكنه بالنهاية هو عضو بالناتو ولاشك أن الروس يرون ما نراه بالنسبة لأردوغان وبالنسبة لإسرائيل، وقالت: «الأيام ستكشف كيف ستتطور العلاقات في المستقبل لكن لاشك أن مواقف الدول مما يجري بين روسيا وأوكرانيا سيكون لها حساب يحسب في المستقبل».

وأضافت: «أعتقد أن تطور الأحداث هو أبطأ بكثير من رغبات الناس والتحليلات، والعلاقات بين الدول لا تنتهي ولا تأخذ منحى حاداً بين عشية وضحاها، والعلاقات بين الدول تحتاج إلى وقت وبراهين وتقييم آني ومستقبلي حتى تأخذ المنحى المطلوب، ولاشك أن الموقف التركي القائم حالياً تجاه روسيا ليس لصالح العلاقة الروسية التركية».

وبالنسبة لتأثير ما يجري في العلاقات الروسية التركية على الملف السوري بينت شعبان أن العلاقة متأثرة منذ زمن، فالاتفاق الذي وقعه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مع أردوغان في آذار ٢٠٢٠ لم ينفذه أردوغان، والروس الذين يدينون الاعتداءات الإسرائيلية على سورية، يحاولون بطرق مختلفة جعل أردوغان يلتزم بما تعهد به بالنسبة للملف السوري، لكن السياسة تأخذ مناحي مختلفة وليس بشكل حاد.

وحول تأثير الحرب الدائرة اليوم على الاقتصاد السوري، أكدت شعبان أن سورية وضعت خطة عمل منذ فترة من الزمن لأن سورية موجودة في معترك، وعندما بدأت العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا اجتمعت اللجنة الاقتصادية في مجلس الوزراء واتخذت قرارات مهمة، لأنه وكما نرى اليوم هذه أزمة عالمية والأسعار ترتفع في كل أنحاء العالم وحوامل الطاقة والقمح ترتفع أسعاره، وسورية تتخذ كل الإجراءات لمواجهة هذا الازدياد الذي يأتي على الأسعار، أما بالنسبة للموقف السياسي فهو واضح لأنه لا يوجد لدينا أوهام بالنسبة للغرب.

شعبان أشارت إلى أن الدول تعاني من عدم الالتزام بالقانون الدولي، فكل العقوبات الأميركية الغربية وغزو العراق وأفغانستان وضرب سورية كلها خارج القانون الدولي والغرب لم يتركوا قانوناً دولياً سارياً على الجميع، حتى المقالات الغربية تقول: إن السبب الأساسي لما يجري اليوم، هو شعور الغرب باستثنائيته وأنه يستطيع عمل ما يريد وبأنه فوق القانون، مشيرة إلى «مبدأ مونرو» المطبق من قبل الولايات المتحدة، والذي لا يسمح لأحد في فضاء الولايات المتحدة أن يهدد أمن أميركا فكيف لأميركا الحق في تهديد روسيا.

شعبان أكدت أن العقوبات مؤلمة لكل الأطراف ليس فقط لروسيا، وإنما حتى لأوروبا فحوامل الطاقة ارتفعت بشكل جنوني وأوروبا ستبرد إذا لم يصل الغاز الروسي، ولا أحد يمكنه التنبؤ كيف ستنتهي هذه الحقبة، لكن لاشك أن العالم ضاق ذرعاً من الهيمنة الغربية وما يتفق عليه الغرب هو فرض العقوبات على الدول، وهذا أمر لم يعد مقبولاً لدى البشرية، لذلك فإنه مع صعود روسيا والصين لابد أن يصبحا قطبين أساسيين في القرار الدولي وقد تكون العملية الحاصلة اليوم هي الإيذان الحقيقي لتأسيس هذه الأقطاب على نظام عالمي جديد، لأننا نعيش اليوم ضمن نظام أفرزته الحرب العالمية الثانية ولم تترك منه أميركا شيئاً.

وتحدثت شعبان عن القرار الذي وضعته الولايات المتحدة لإدانة روسيا في مجلس الأمن، وقالت: كان لافتاً أن الهند والصين والإمارات امتنعت عن التصويت، وهذا يدل على بداية وعي بأن الغرب لا يراهن عليه والغرب لا يحترم تعهداته، وليس أميناً لأي أحد يخدمه ضد مصلحة بلده، وقالت: «يجب أن تعي البشرية أن الحاجة ماسة لأجل نظام عالمي جديد يحترم سيادة الدول والعلاقات بين الدول، ويحترم القانون الدولي».

وأشارت شعبان إلى أنه خلال السنوات الماضية كان هناك عدم قدرة تجاوز أن الغرب في حالة شبه انحدار والشرق في حالة صعود، لكن لم يستطع أي منهما حسم الموضوع وقد يكون ما نشهده اليوم بداية حسم للموضوع لصالح عالم متعدد الأقطاب على أسس مختلفة تحترم القانون الدولي وسيادة الدول، وهذا يعتمد على ردود أفعال الدول وطبعاً الولايات المتحدة والغرب يضغطون لعدم السماح لذلك بالحصول، مشيرة إلى أن المؤسسة الغربية وخاصة الأميركية قائمة على بيع السلاح والحروب ولا يمكنها العيش من دون حروب.

شعبان اعتبرت أنه كان من المفروض أن يتغير الموقف الأوروبي خلال هذه الأزمة لأن مصلحة أوروبا مع روسيا، والموقف الألماني لم يحسم بعد والكثير من الآراء الألمانية تقول: إن مصلحة ألمانيا تقتضي التفاوض مع روسيا، لكن أوروبا خلال السنوات الماضية لم تكن ذات رأي مستقل بل كانت تابعة للولايات المتحدة في كل المواقف السياسية وما سيأتي من الأيام نتركه للأيام.

وكشفت أن سورية تعمل منذ زمن على تأسيس الشروط التي يمكن أن تساعدها على تحرير الأراضي المحتلة، وأضافت: «جيشنا وبلدنا لا ينتظر أي حدث حتى يؤسس عليه لتحرير الأراضي السورية المحتلة، وهناك الكثير من العمل الذي تقوم به الدولة السورية وبدعم من الأصدقاء الروس، وهم كانوا دائماً صادقين ومخلصين وموقفهم ضد الإرهاب ثابت وعملي وواضح»، مشددة على أنه لولا دعم ما يسمى «التحالف» الذي يدعي محاربته الإرهاب لتمكنت سورية من القضاء على الإرهاب نهائياً، ولكن هم يدعمون الإرهاب ويدعون محاربته في مفارقة كبيرة.

وأكدت شعبان أننا في سورية نقف بلا شك على الجانب الصحيح من التاريخ، ولاشك أننا مع الحلف الصحيح والعلاقة الروسية – السورية غارقة في القدم، والجيش العربي السوري منذ القرن الماضي تسليحه روسي وعلاقتنا مع روسيا تاريخية ومتينة، ومواقف روسيا خلال هذه الحرب عززت هذه العلاقة، واليوم تتفهم سورية الضرورات التي أدت إلى ما نحن فيه وهي بالنسبة لروسيا مرتبطة بأمنها القومي والتحدي الوجودي لها.

شعبان لفتت إلى أن هناك الكثير من الدول تخشى المواجهة لكن سورية واجهت لأن الحرب فرضت عليها كما فرضت على روسيا، وسورية ليست من دعاة الحرب ولا تريد الحروب لكن ماذا نفعل إذا كانوا يريدون تدمير البلاد وتغيير هوية البلد، وإذا كانوا يريدون أن تتحول البلاد لمجرد تابعة للغرب، فلا يمكن للإنسان الوطني الجلوس والتفرج فلابد من المواجهة والمقاومة، وقالت: «في النتيجة لا يصح إلا الصحيح ونحن على الجانب الصحيح من التاريخ، وإن شاء الله يكون ما نشهده اليوم إيذاناً بتحول عالمي لصالح الشعوب لأن الحروب دائماً مدمرة، وهي ليست لصالح الشعوب وليست لصالح الاستقرار وليست لصالح السلام، هي فقط لصالح من يريد أن يبيع الأسلحة ويهيمن على العالم وهذا له علاقة بالعقلية الاستعمارية»

وختمت بالقول: «إننا نشهد، إن شاء الله، آخر مرحلة من الحضور الاستعماري».

شمخاني أكد أن الوجود الأميركي في سورية أكبر عقبة أمام السلام والاستقرار

اللواء مملوك من طهران: التعاون السوري الإيراني يصب في دعم الأمن الإقليمي

أكد رئيس مكتب الأمن الوطني اللواء علي مملوك، أن التعاون السوري الإيراني في مجال مكافحة الإرهاب يصب في دعم الأمن الإقليمي في المنطقة، في حين أكد أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني، أن الاحتلال الأميركي لأجزاء من سورية هو أكبر عقبة أمام عودة الأمن والاستقرار بشكل كامل إليها.

وأجرى اللواء مملوك مباحثات مع شمخاني في طهران تناولت التطورات الأخيرة على الساحة الدولية وانعكاساتها على المنطقة، وفق وكالة «سانا» أمس، كما تناولت المباحثات، التعاون بين سورية وإيران في مجال محاربة الإرهاب ومواجهة المساعي الأميركية التي تهدف لإعادة تصنيع وإحياء التنظيمات الإرهابية في سورية من خلال تدريبها وإمدادها بالسلاح.

وأكد اللواء مملوك أن «التعاون السوري الإيراني في مجال مكافحة الإرهاب يصب في دعم الأمن الإقليمي في المنطقة»، داعياً «كل الدول لتوحيد جهودها لإنهاء التطرف وتجفيف منابعه».

وأشاد اللواء مملوك بالدور الإيراني في دعم سورية لمواجهة الإرهاب، مشدداً على أهمية استمرار هذا التعاون الممزوج بدماء شهداء البلدين الصديقين.

بدورها، ذكرت وكالة «فارس» الإيرانية شبه الرسمية، أن اللواء مملوك عرض تقريراً عن الأوضاع الأمنية في مختلف أنحاء البلاد، ونقلت عنه قوله: إن «سورية تغلبت على الأزمة الأمنية من خلال الجهود المشتركة للحكومة والشعب والقوات المسلحة، والدعم الفعال من الدول الصديقة ضد الإرهاب التكفيري ورعاتهم».

وفي إشارة إلى الفرص الاقتصادية الكبيرة للتعاون المشترك بين البلدين في مختلف المجالات، أضاف اللواء مملوك وفق «فارس»: إن «وجود الشركات الإيرانية والفاعلين الاقتصاديين في سورية واستمرار التعاون المشترك في القطاعات الاقتصادية والتجارية يوفر فوائد دائمة لكلا البلدين».

من جهته، جدد شمخاني التأكيد على أن بلاده مستمرة بدعم سورية في حربها ضد الإرهاب، لافتاً إلى تزايد التحركات الميدانية الأميركية لتسليح وتدريب وتوجيه الجماعات الإرهابية في سورية، مشدداً على أن استمرار هذا الأمر لا يزعزع الأمن في سورية فحسب بل يهدد الأمن الإقليمي أيضاً، وذلك على ما ذكرت وكالة «سانا».

وأشار شمخاني إلى الدور الخطير للولايات المتحدة في خلق أزمات إقليمية وعالمية بهدف الهيمنة على دول العالم ونهب ثرواتها، مؤكداً أن الاحتلال الأميركي لأجزاء من سورية هو أكبر عقبة أمام عودة الأمن والاستقرار بشكل كامل إليها.

وأكد أن بلاده التي وقفت إلى جانب الشعب والحكومة السورية في أصعب الظروف مستمرة في ذلك، لافتاً إلى العلاقات الطيبة بين البلدين وإلى ضرورة تبني الآليات المناسبة لتسهيل وتسريع تنفيذ الاتفاقيات الثنائية في مختلف المجالات.

وحسب «فارس»، اعتبر شمخاني، وهو ممثل قائد الثورة الإسلامية، أن نشر الإرهاب وزعزعة الأمن والتغيير العرقي لأهداف انفصالية في سورية هو من الإستراتيجيات الرئيسة لنظام الهيمنة العالمي، وأضاف: «للأسف، يلعب بعض جيران سورية دوراً في ساحة أعداء استقرار وأمن المنطقة»، وأشار إلى أن السبيل الوحيد لمواجهة هذه المؤامرات الشريرة هو الحفاظ على التلاحم الوطني وروح المقاومة وسياساتها.

وكالات

اللواء علي مملوك خلال لقائه أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني في طهران أمس (عن الانترنت)

الاحتلال التركي يمهد باتجاه تل تمر وعين عيسى و«قسد» تخشى إطلاق واشنطن يده شرق الفرات

الجيش يستهدف الإرهابيين بريف إدلب.. و«الحربي» يغير على دواعش البادية

حلب- خالد زنكلو

حماة- محمد أحمد خبازي

في ظل انشغال كل من موسكو وواشنطن في أتون المعارك الدائرة في اوكرانيا، يخشى متزعمو ميليشيات «قوات سورية الديمقراطية- قسد» الانفصالية الموالية للاحتلال الأميركي من إطلاقها يد رئيس النظام التركي رجب طيب أردوغان في مناطق هيمنة الميليشيات شرق الفرات، في وقت يواصل فيه الاحتلال التركي منذ يومين اعتداءاته بقصف ناحيتي تل تمر بريف الحسكة الشمالي الغربي وعين عيسى شمال الرقة.

ونقلت مصادر مقرب من «قسد» عن متزعميها لـ«الوطن» مخاوفهم الجديدة من أن تكون عمليات القصف المدفعي والصاروخي لجيش الاحتلال التركي على تل تمر وعين عيسى، بعد فترة هدوء استمرت أكثر من أسبوع، بمثابة تمهيد ناري لاحتلال المنطقتين اللتين سبق لأردوغان ومرتزقته التهديد باحتلالهما منتصف تشرين الأول الماضي.

وجددت المصادر تأكيدها، أن لدى متزعمي «قسد» قناعة أن «الفيتو» الذي أطلقته موسكو وواشنطن في وجه نظام أردوغان حال دون غزوه لمناطق شمال وشمال شرق سورية إبان إطلاق وعيده بذلك وتحريك جيش احتلاله ومرتزقته إلى حدود جبهات المناطق التي وضعها في قائمة بنك أهدافه لاغتصابها.

ورأت، أن واشنطن قد تغري أردوغان بقسط من كعكة مناطق نفوذ «قسد» في سورية، وخاصة تل تمر وعين عيسى لربطها مع المناطق التي يحتلها في رأس العين وتل أبيض، في حال اتخاذه مواقف متشددة لمصلحة النازيين الجدد في كييف، مثل إغلاق مضيقي البوسفور والدردنيل من وإلى البحر الأسود في وجه الأسطول الروسي أو إعلان انضمامه إلى عمليات حلف شمال الأطلسي «الناتو» العسكرية، الذي يضم تركيا، في حال قرر زعماؤه المواجهة العسكرية مع روسيا إلى جانب الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي.

وأعربت المصادر عن قلق متزعمي «قسد» من إخفاق التوصل إلى تسوية للأزمة الأوكرانية عبر المفاوضات بين وفدي موسكو وكييف، والتي تجري حالياً على الأراضي البلاروسية، ما يطيل أمد الحرب التي تضع الأرضية المناسبة والفرصة المواتية لتدخل النظام التركي عسكريا شمال شرق سورية بضوء اخضر من الإدارة الأميركية التي تدل التجارب والمعطيات أنها لا تتردد في التخلي عن أقرب حلفائها خدمة لمصالحها.

ميدانيا، قالت مصادر محلية في تل تمر لـ«الوطن»: إن جيش الاحتلال التركي ركز قصفه المدفعية والصاروخي بمؤازرة مرتزقته أمس على قرى تل شنان ودشيشة وأم الخير بريف تل تمر، ما أدى إلى إصابة سيدة ثلاثينية في الأخيرة بجروح وضرر كبير في ممتلكات الأهالي الذين اضطر بعضهم إلى النزوح صوب تل تمر.

في عين عيسى، ذكرت مصادر أهلية لـ«الوطن»، أن الاحتلال التركي جدد أمس قصفه المدفعي وبقذائف الهاون، ولليوم الثاني على التوالي، على قرية هوشان شمال مركز الناحية، الأمر الذي تسبب بإصابات في صفوف المدنيين وإلحاق أذى بممتلكاتهم.

وأما في منطقة «خفض التصعيد»، فقد بيّن مصدر ميداني لـ«الوطن»، أن الجيش العربي دك بالمدفعية الثقيلة مواقع للإرهابيين في الفطيرة وبينين وفليفل وأطراف البارة، بمنطقة جبل الزاوية في ريف إدلب الجنوبي، وفي آفس بالريف الشرقي، وذلك رداً على خرق مجموعات إرهابية مما تسمى غرفة عمليات «الفتح المبين» لاتفاق وقف إطلاق النار في المنطقة، واعتدائها على نقاط عسكرية بمحاور بريف إدلب.

على خط مواز، بيّن مصدر ميداني لـ«الوطن» أن الطيران الحربي شن أمس عدة غارات على مخابئ لمسلحي تنظيم داعش الإرهابي في بادية أثريا ببادية حماة الشرقية، موضحاً أن الغارات دمرت تلك المخابئ المحصنة بمن فيها من إرهابيين.

من جهة ثانية ذكرت وكالة« سانا» أن لغماً من مخلفات مسلحي تنظيم داعش الإرهابي انفجر في قرية الرهجان شمال مدينة سلمية بريف حماة ما تسبب باستشهاد ٣ مدنيين.

قولاً واحداً

الدكتور قحطان السيوفي

الدول النامية والتحديات غير السياسية

ثمة أسئلة كثيرة تطرح في عالم اليوم حول التحديات غير السياسية التي تواجه البشرية عموماً وخاصة في الدول النامية، وتداعيات هذه التحديات وسبل مواجهتها والحد ما أمكن من آثارها.

لدى البشرية شعور بأن الأمور لا تسير على ما يرام، بما في ذلك التهديد الوجودي للكوارث الطبيعية والبيئية والتحديات المرتبطة بالتقنيات الجديدة.

وهذه كلها ليست سوى بعض التحديات والمشكلات، البعيدة عن السياسة، التي واجهتها وتواجهها الدول النامية وفاقمها ظهور جائحة كورونا وما تعيشه من تحد بسبب الوباء، إن الكوارث المرتبطة بالبيئة والطبيعة وهطول الأمطار والأعاصير العنيفة والحرائق الضخمة للغابات المتكررة والشديدة، التي تعاني منها دول العالم بما ذلك الدول النامية، لطالما تسببت في إزهاق أرواح الآلاف، وألحقت أضراراً بالمليارات، ولكن ثمة شواهد تبعث على نوع من التفاؤل النسبي بأنه يمكن الاستعداد لها ومعالجة آثارها.

أثبتت جائحة فيروس كورونا الأهمية الحاسمة للاستفادة من البنية التحتية التكنولوجية والأدوات الرقمية من أجل الحصول على الخدمات الأساسية وحتى أجيال قليلة مضت، سارت البشرية على نهج الباحث مالتوس.

أدى النمو السكاني الناتج «من دون نمو متناسب في حجم الإنتاج، إلى إلغاء المكاسب التي تحققت، وكانت أفضل فرصة أمام المجتمع المالتوسي لتحقيق السعادة النسبية هي تعزيز عادة تأخير الزواج، وخفض معدل المواليد.

إننا الآن في العقد الثالث من القرن الـ٢١، وقد مرت البشرية بالتحول الديموغرافي، أي التحول من معدلات المواليد والوفيات المرتفعة إلى معدلات الوفيات المنخفضة، بفضل التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي.

ولم تعد نظرية مالتوس مثار جدل كبير، فالمشهد العالمي يشير أولاً، إلى إخفاق العالم في بناء مؤسسات حوكمة يمكنها إدارة المشكلات العالمية مثل تغير المناخ.

وثانياً، توزع ثروة العالم بطريقة غير معقولة ومروعة وإجرامية، فقد يكون لدى المليار شخص الذين يعيشون في الحضيض هواتف ذكية وبعض الفرص الضئيلة للوصول إلى الرعاية الصحية.

لقد كذبت العقود الأربعة الماضية الادعاء النيوليبرالي القائل: إن المجتمع غير المتكافئ من شأنه أن يطلق طاقات ريادية هائلة، ما يحقق المكاسب للجميع.

بعد عامين على تفشي جائحة كوفيد – ١٩ في العالم، نشهد حالة الطوارئ الصحية العالمية وأزمة اقتصادية باتت الدول النامية والأشد فقرا هي الأكثر تضررا منها.

وأدت الجائحة إلى ارتفاع معدلات الفقر وبددت الأزمة كثيراً من المكاسب الإنمائية التي تحققت على مدى الـ١٥ عاماً الماضية في مجالات التعليم والرعاية الصحية والتغذية.

اليوم، تدفع الكوارث ٢٦ مليون شخص إلى براثن الفقر سنوياً، وبالنسبة للأسر الزراعية التي لا تمتلك سوى مدخرات محدودة، وقد تؤدي موجات الفيضان أو الجفاف التي تدمر المحاصيل إلى آثار اقتصادية مدمرة، حيث يؤدي فقدان مصدر الدخل إلى تقليل إمكانية الحصول على الغذاء والاحتياجات الأساسية.

وفي الأمد الأطول تَحدّ الآثار في التعليم والصحة من آفاق المستقبل ولابد من اقتراح حلول للدول النامية لسد الفجوة الرقمية وتحسين الأحوال المعيشية للفئات الفقيرة.

يجب تعزيز التأهب لمواجهة الكوارث، والحد من آثارها، والتنمية الشاملة ومكافحة الفقر ضروريتان لحماية الفقراء من الكوارث، فتحسين سبل الحصول على الموارد المالية والفنية والمؤسسية سيجعلهم أكثر قدرة على التصدي لآثار تغير المناخ الذي يسبب معاناة دائمة للأسر وللشركات الصغيرة التي تعد محركات للاقتصادات المحلية في البلدان النامية، فهم يحتاجون إلى الدعم.

على سبيل المثال، إيجاد منازل مقاومة للأعاصير، ونظم ري أكثر كفاءة، وشبكات طاقة مصغرة قادرة على الصمود، حينما تقع الكوارث.

يساعد التكيف المجتمعات المحلية على مجابهة الآثار حينما تقع الكوارث، والتعافي سريعا، وتفادي العواقب طويلة الأجل، ويمكن أن تساعد أنظمة الإنذار المبكر على إنقاذ الأرواح، وتحقيق المنافع.

وتستطيع نظم الحماية الاجتماعية تقديم مساندة سريعة بعد وقوع كارثة طبيعية في الدول النامية، كما تؤثر تداعيات تغير الطقس في الإيرادات الضريبية، وميزان التجارة، وتدفقات رأس المال، ويتطلب ذلك تخطيطاً استراتيجياً على أعلى المستويات، ما يقوي قدرة الاقتصاد على الصمود في وجه الصدمات، وذلك بتنويع هياكله الاقتصادية وتركيبة صادراته السلعية وقاعدته الضريبية، بالمقابل تتمثل التحديات الرئيسة لتحقيق الشمول الرقمي في نقص البنية التحتية، وغياب الثقافة الرقمية، ونقص الإلمام بالتكنولوجيا الرقمية وضعف التعليم في الدول النامية، حيث تتداخل تحديات الشمول الرقمي مع بعض قضايا اجتماعية، كالفقر وعدم المساواة بين الجنسين والهجرة وعدم توافر الخدمات الأساسية.

يمكن حل مشكلة نقص مرافق البنية التحتية الرقمية من خلال الشراكة بين القطاعين العام والخاص ودعم الحكومات، ويمكن الاستفادة من الخدمات المالية عبر الهاتف المحمول للفئات المحرومة للحصول على الخدمات المالية كما يمكن للخدمات المالية الرقمية التي تقدمها البنوك وشركات الهاتف المحمول أن تعزز حصول الأفراد على الحلول المالية في المناطق التي تفتقر إلى فروع مصرفية.

إننا لا نستطيع الحيلولة دون وقوع التحديات غير السياسية كالكوارث بأنواعها الطبيعية وغيرها، لكننا في الدول النامية نستطيع اتخاذ الإجراءات الاحترازية وتأمين متطلباتها بالإمكانات المتوافرة، والتقليل من آثارها، ولاسيما على أشد الناس فقراً وأكثرهم احتياجاً وتأثراً.